الماء ودوره في الحياة الفلاحية والصناعية والمدنية

بالمغرب الاقصى

نظرة اجمالية - موارد الماء - طرق الانتفاع بالماء - الماء والحياة الفلاحية - الماء والحياة الصناعية - الماء والحياة المدنية - خاتمة

(تابع لما سبق)

ومما يجب الانتباه اليه عند تعاطي فن الاسقاء أن يعلم الفلاح ما في طبقة ارضه السفلى من املاح لان الماء اذا تسرب الى طبقة الارض وكانت محتوية على قدر وافر من الملح ذاب الملح في الماء وصعد معه الى سطح الارض ثم يتبخر الماء ويبقى الملح ومن المعلوم ان الملح اذا علت نسبته في التراب على قدر معين أضر بالنبات ضرراً يزيد مع كميته وربما صير الارض قاحلة غير صالحة لاي نوع من انواع الفلاحة فاذا كانت الارض المنوي اسقاؤها من هذا القبيل وجب على الفلاح ان يسعى جهده ليمنع تبخر الماء بكثرة وذلك باجراء عمليات فلاحية سطحية بعد كل اسقاء ووجب عليه ان ينتقي من النباتات الانواع التي تستطيع اكثر من غيرها الحياة في الاراضي المالحة وان يسقي أرضه من حين لآخر بقدر وافر من الماء العذب يذيب الملح الذي صعد للطبقات العليا ويحمله للخارج بواسطة اقنية التنشيف وهكذا باستعماله الاسقاء والتنشيف في آن واحد يغسل ترابه من الملح ويجعله صالحاً للحياة النباتية.

ومن اضرار السقي انتشار بعض النباتات الفاسدة وعتوها في الارض المسقية ومن اهم تلك النباتات «النجم» فسرعان ما يمد عروقه في الارض ويكلف الفلاح خدمات متوالية وهو لايكاد يستطيع استئصاله وقطع دابره رغم الجهود المتواصلة.

ومما يجب الاهتمام به ايضا عند تعاطي السقي ان يكون الماء المستعمل خالياً من المواد المضرة كالتي تعلق به اذا استخدم لبعض الصناعات قبل استخدامه للفلاحة او كبعض المواد الكبريتية او كالاملاح الحديدية والجيرية اذا كانت كميتها تزيد على ما تتطلبه مصلحة الارض والنبات كما يجب تحاشي المياه الراكدة والمياه الحامضة لانها تفسد تركيب الارض وتضر بالمزروعات.

ان دائرة السقي بالمغرب الاقصى متسعة ففي سوس ونواحيه يستعملون وادي سوس والاودية التي تصب ماءها فيه لسقي القمح والشعير وبعض الاجنة كما ان ناحية مراكش بوجودها بين الاطلس والجبيلات كثيرة موارد الماء وسكانها ينتفعون بالمياه التي تحت سطحها بحفر العيون المعروفة بالخطارات يسقون بها اجنتهم وقسما من فلاحتهم كما انهم يحسنون استعمال المياه الواردة من الجبال بعد نزول الامطار او بذوبان الجليد لسقي الارض وحراثتها وكذلك في السهول المجاورة لجبال الاطلس الكبير والاطلس المتوسط حيث تسيل المياه وتتدفق العيون وكذلك في ناحيتي فاس ومكناس.

على أن كثيراً من المحلات السقوية خرجت من يد الاهالى وأخذها المعمرون اما بطريق الشراء من اربابها مباشرة واما بواسطة الحكومة اذا كانت البلادات ملكا لها وارادت احداث دائرة جديدة من دوائر الاستعمار فتختار لذلك احسن الاراضي واجودها وأكثرها ماءً تجمعها بطريق الشراء من اصحابها او المعاوضة معهم او بانتزاع ملكيتها من أيديهم احيانا عملا بالقوانين المؤذنة بانتزاع الملكية لمصلحة موجبه وهي في نظرنا لا سبيل لها هنا اصلا كبلادات رأس الماء وزواغة والضويات من ناحية فاس وبلادات بوفكران ومجاط وعين تاوجطات من ناحية مكناس وكبلادات تاركة والقلعة وتسلطانت ومسفيوة واغواطين من ناحية مراكش وكسهول بني حسن المنوي سقيها بسد القنصرة.

تم ان في استطاعة الحكومة أن تزيد نطاق دائرة السقي اتساعاً فيجب عليها اذ ذاك أن تتحافظ على حقوق الناس فان من الاودية كاودية الجنوب ما يستغله أهالى البلاد بكيفية مثقنة مفيدة

واستغلالهم لها ضروري لحياتهم بل نرى المجاعات تحطم كيانهم رغم ذلك فاذا لم تراع الحكومة حقوقهم وأرادت أن تاخذ لهم من مياههم ما تعطيه للمعمرين سافتهم حتما الى الهلاك فلا ينبغي للحكومة أن تفكر في تحريف مجاري أودية الجنوب لان الاهالي حرفوها باجمعها ولاكن في استطاعتها ان تبني اسدادا في الجبال لادخار مياه الفيض في الشتاء ولعلها تنوي بناء سدين من هذا القبيل على وادي تاسارت والوادي الاخضر ولعلها اذا تم بناء هاذين السدين تستطيع المحافظة على حقوق أرباب السواقي الحاليين واستعمال الماء الفاضل لسقي ارض جديدة .

ومن الانهار والاودية قسم لاتستعمل مياهه كلها فتستطيع الحكومة أن تبتدئ ببناء اسداد لتحريف مجاريه واستخدام الماء الفاضل عن الناس ثم اذا لم يكف ذلك تستطيع بناء اسداد الادخار ومن هذا القبيل وادي الملاح لتوسيع نطاق دائرة فلاحة الخضر والاشجار المثمرة حول الدار البيضاء ومنه نهر أم الربيع اعظم انهار المغرب الاقصى فيمكن تحريف مجراه قبل وصوله لقصبة تادلة ببناء سد صغير ومد قناة رئيسية طويلة توصل الماء الى سهول بني عمير المراد سقيها واذا علمنا ان الماء الذي يجرى نهر أم الربيع لايقل حتى في المصيف عن ١٥ متر مكعب في الثنية قدرنا أهمية المشروع حق قدرها ومن هذا القبيل ايضا وادي العبيد وقد يمكن للحكومة أن تبني سداً ضخما في مجراه الادنى من بين الوديان ومد قناة تمر في وسط الجبل تحمل الماء الى سهول بني موسى وعند خروج القناة من الجبل تصب الماء من ارتفاع عظيم و تمكن استعمال قوة انحدار الماء من هذا الارتفاع لايجاد القوى الكهربائية .

الماء والحياة الصناعية

يكاد يعجز الانسان عن جعل حد فاصل بين علاقة الماء بالفلاحة وعلاقته بالصناعة وهل الفلاحة نفسها الا صناعة بديعة يمر اعظم قسم منها في معمل لانرى فيه الا بعض ظواهره ولا ندرك مداه ومدى تطوراتها فيه وان كنا نرى ونلمس نتيجة تلك التطورات والماء نفسه في دورته الطبيعية ، ألا نستطيع أن نشبهه ببعض المواد التي تمر في معاملنا باطوار متعددة مختلفة غير أن المعمل الذي يتطور فيه الماء هو أوسع بكثير من معاملنا المعتادة ، فالماء يصعد بطريق التبخر تحت تاثير حرارة الشمس من البحر نحو الفضاء فيكون السحاب تسوقه الرياح الى حيث شاء الله فيسقط مزنا يتسرب الى بطن الارض او يجري على وجهها فيستعمله الانسان لشتى أغراضه ومنافعه ثم يسيل مع الاودية والانهار نحو البحر ومن هناك يتبخر من جديد ويعيد دورته الاولى .

لانريد في هذه العجالة الكلام عن دخول الماء في تركيب بعض المواد وتحليل اخرى في عالم الصناعة ولكن نريد ان نقتصر على ذكر تاثيره في الحياة الصناعية بالمغرب الاقصى باعتباره قوة ميكانيكية تحدث القوة الكهربائية وتحليل ذلك ان الماء اذا كان في محل مرتفع استطاع الانسان استغلال قوة انحداره من ذلك المكان المرتفع واستعمال تلك القوة لتحريك الآلات المولدة للكهرباء والكهرباء هي مفتاح جميع الصناعات الحديثة فهي التي تنير ظلمات الليل وهي التي تحرك قطرات المسافرين وبضائعهم وهي التي تدير جميع آلات الصناعات الاخرى وهي التي تؤثر تأثيراً مباشراً على تركيب بعض الاجسام وتحليل بعض المركبات وهي التي يستعملها الحكماء لاكتشاف ومعالجة الامراض البشرية وبالاختصار نرى الكهرباء من اعظم مظاهر الحياة العصرية ان لم نقل اعظمها فاذا كان الماء هو الذي يدير الآلات التي تولدها صحت سيطرته على الحياة الصناعية الحديثة كلها لسيطريته على توليد الكهرباء.

ولاغرابة والحالة هذه أن يفكر ذوو الامر في محاولة التوفيق بين حاجات الفلاحة وحاجات الصناعة الى الماء لان استعماله في احدى هاتين المصلحتين لاينافي استعماله في الاخرى ولهذا صارت الحكومة كلما ارادت بناء سد لتحريف مجرى نهر من الانهار أو لادخار مائه تجتهد لاستخدام الماء لتوليد الكهرباء قبل استخدامه للسقي خصوصاً حيث لايتغير فيه ادنى شيء من مميزاته اوتركيبه وقد بينا مثالا واضحاً محسوساً من هذا القبيل عندما وصفنا بناء سد القنصرة وتكلمنا عن المعمل الكهربائي التابع له ولاشك ان الحكومة عندما تريد بناء اسداد اخرى كسد وادي العبيد او سد الملوية تفكر في اضافة معامل كهربائية لها.

اما الآن فاهم معمل كهربائي بالمغرب هو الذي يستعمل قوة انحدار ماء نهر ام الربيع بسيدي معاشو وهو (باعانة معمل الدار البيضاء ثم في المستقبل باعانة معمل القنصرة) المصدر الاعظم للقوى الكهربائية المستهلكة في المدن والقُطرات المغربية.

اما اقدم المعامل المهمة فهو معمل الشركة الفاسية التي حصلت منذ ١٩١٤ على امتياز استعمال انحدار قسم من مياه وادي فاس انحداراً يقدر بمياتير ٢٥ وبعده نجد معمل وادي تازة ومعمل وادي بوفكران الاول لتازة والثاني لمكناس اما باقي المدن كمراكش وآسفي والجديدة والصويرة والدار البيضاء والرباط وسلا ووجدة فقد كانت لها معامل تتحرك بالغاز او بالفحم الحجري لاتدخل في موضع بحثنا هذا. (يتبع)

عمر بن عبد الجليل

(المغرب)

قرأنا في العدد الاخير من (المغرب) ان احد فروع جمعية حقوق الانسان بباريز أصدر احتجاجاً على سياسة انتزاع الملكية المعمول بها في افريقيا الشمالية وبالخصوص في المغرب ونحن لايسعنا الا ضم صوتنا الى غيرنا في هذا الموضوع وهو الامر نفسه الذي تشير اليه مقالة (الماء ودوره في الحياة) التي بهذا العدد، فان احترام ما بيد الناس مما تتفق عليه سائر الشرائع والقوانين ولا موجب اصلا لانتزاع الاراضي عن ملك اربابها من الاهالي لاعطائها للمعمرين كيفما كانت مقدرتهم على العمل وان صيانة الاملاك (بعد الدين واللغة) اهم الواجبات الملقاة على أولي الامر.

وقرأنا في العدد نفسه مقالا بقلم رئيس تحريرها الم. لونجي في الضابط البربري يقترح فيه ارسال لجنة من مجلس النواب الى الايالة الشريفة للبحث في هذا الضابط والسياسة التابعة له ونحن مع الم. لونجي في هذا الاقتراح المصيب.

كما قرأنا فيه ايضاً مقالا قيما للسيد محمد الوزاني في شأن سياسة الم. لوبيس فرير نائب الجمهورية الاسبانية بالمغرب على نقيض ماكان يترجاه اخواننا سكان المنطقة من الجمهورية والامال التي كانوا يعلقونها على النظام الجديد وقد أخبرت الجرائد اخيراً باعفاء المسيو لوبيس فيرير.

الغيب

مثلما يقع في افتتاح كل سنة اصدرت الجرائد تنبؤات كثيرة من الفلكيين وغيرهم من اهل الاطلاع (هداهم الله) في شأن ما سيحدث في العام الجديد، ومن الحوادث حروب طاحنة بين الدول وسقوط بعضها وصعود الاخر وموت بعض العظماء وشيء من الزلازل في جهات المعمور الى غير ذلك من الوقائع التي لا يخلو منها تنبؤ في الدنيا ، وليس من جديد في كل ذلك الا ما اخبر به احد الفلكيين هذه المرة من ان الناس يقبلون على الصحف اكثر من ذي قبل للاطلاع على الاخبار.

الضابط البربري

عادة الناس في الخلاف احالة الخلاف على من يفصل بينهم. فلماذا لا تتبع الحكومة هذه العادة الحسنة ولماذا لا تشكل لجنة يترافع لديها اصحاب الضابط واعداؤه ؟

من غير صائر ولاصياح ولا وكلاء

***

يقول أصحابه ان حله متعسر جداً جداً ... حالة انه يكفي في ذالك قلم ودواة وكاغط لازآئد ولا أقل ... ونحن كلنا إخوان.